

الأدلة العقلية والفطرية على إثبات وجود الله في سورة الأنعام

إعداد الدكتورة

مديحة بنت إبراهيم بن عبد الله السدحان

الأستاذ المشارك بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

الرياض ـ المملكة العربية السعودية




بسم الله الرحمن الرحيم

الأدلة العقلية والفطرية على إثبات وجود الله في سورة الأنعام

مديحة إبراهيم السدحان

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بالرياض، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: mialsdhan@pnu.edu.sa

ملخص البحث:

يتناول البحث قضية تقرير الأدلة الفطرية والعقلية على إثبات وجود الله، ولا أبلغ ولا أنفع في ذلك من كلام الله ﷻ، ولهذا جاء هذا البحث لتجلية الهدايات القرآنية في سورة الأنعام فقد تضمنت الكثير من الأدلة الفطرية والعقلية على تفرده سبحانه بالخلق والملك والتدبير، التي عني البحث ببيانها، لأن تحقيق التوحيد، وإثبات وجود الله طريق لتحقيق الغاية التي خلق الإنسان من أجلها وهي عبادته وحده ﷻ.

وقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في إثبات وجود الله، فمن هذه الأساليب الأدلة العقلية بالإقناع بالبرهان المنطقي، والدعوة للتفكر في الآفاق والأنفس، والخطاب الفطري، وخطاب الوجدان بالموعظة والتذكير، وكل هذه الأساليب واضحة في هذه السورة، وقد كان من أهم أهداف هذا البحث: بيان الأدلة العقلية والفطرية على التوحيد وإثبات وجود الله، وتوضيح ما في هذه السورة من ردود على حجج منكري وجوده سبحانه، وبيان كيفية الاستفادة من أسلوب الموعظة في الرد عليهم.

وقد اتبع البحث المنهج التحليلي الاستنباطي، أما أهم نتائجه وتوصياته فهي: أن سورة الأنعام تضمنت الأدلة العقلية التي تثبت وجود الله ﷻ وأبرزها: تذكير الإنسان ببداية خلقه، وهو "دليل الخلق والإيجاد" وهو من أقوى الأدلة على وجود الله، كما جاء فيها "دليل الفطرة"، بذكر رجوع الإنسان عند الشدائد لخالقه.

وقد أوصى البحث بتعليم المسلمين والشباب خاصة الأدلة على توحيد الله وإثبات وجوده، وإدراج ذلك في مناهج التعليم العام والجامعي، وتدريبهم على مهارات التفكير الصحيح، حتى تعصمهم بإذن الله من الفتن التي توقع في الإلحاد.

الكلمات المفتاحية: سورة الأنعام، العقيدة، الشرك، وجود الله، الإلحاد.

Establishing Mental and Innate Evidence of the Existence of Allah as revealed in Surat Al- An'am

By: Madiha Ibrahim Al- Sadhan
Department of Islamic Studies
Faculty of Arts
Princess Noura University
Riyadh- Saudi Arabia

Abstract

The research at hand deals with the issue of establishing mental and innate evidence of the existence of Allah. Due to the fact that the Word of Allah is the best and has no match, this research intends to discuss the gemstones revealed in Surat Al- An'am which includes a great deal of innate and mental evidence of the existence of Allah; the only creator, Lord of the worlds and the Disposer of all creatures. The research highlights these attributes as achieving monotheism and proving the existence of Allah constitutes the way to achieve the objective beyond crating mankind which is worshipping the Only One; Allah, Glory be to Him. The Holy Qur'an uses a variety of techniques to prove the existence of Allah. Those techniques include mental clues which rely on logical persuasion, meditation, thinking of the selves, innate discourse, addressing one's conscience through advice and reminding. All these reasons are quite clear in Surat Al- An'am and that's why the research resorts to this chapter of the Holy Qur'an seeking persuasive responses for the pleas of those who denounce the existence of Allah. Hence, the research utilizes the deductive and analytical approaches. Regarding the findings and recommendations, the research has proved that Surat Al- An'am includes innate and mental evidence of the existence of Allah. The most outstanding clues remind man of his early creation which embodies a conclusive evidence of creation and existence which is considered one of the powerful clues on the existence of Allah. In addition, there is "the innate clue" which reminds man of resorting to his Creator in severe circumstances. The research recommends the Muslims, in general and the youth in particular, to learn by heart the clues on monotheism and the existence of Allah as well as including these topics in pre- university and university education. The Muslim youth should be also trained on truthful thinking skills so that they may be protected from any kind of seduction that would lead to infidelity.

Key words: Surat Al-An'am, creed, polytheism, the existence of Allah, infidelity

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله ﷻ هو خالقنا الذي أوجدنا من العدم، ومن علم ذلك أخلص له الدين، فهو مالكه الذي بيده وحده نفعه وضره.

ولهذا جاء في القرآن الكريم ذكر الآيات التي تثبت وجوده سبحانه، فمن ألحد وأنكر ربوبية الله لم يحقق الغاية التي خلق من أجلها وهي عبادته وحده ﷻ قال تعالى :(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ). (الذاريات ٥٦).

وقد تنوعت أســاليب القرآن الكريم في الرد على الملاحدة، وتعددت طرق خطابهم ومحاججتهم، بقصــد هدايتهم، وبيان شــبهاتهم، والرد عليها ردا ظاهرا يدفع الباحث عن الحق إلى الإيمان، فلا يبقي للملحد حجة ولا يمنعه عن الهداية إلا الكبر والإصــرار على الجحود والإنكار، ومن هذه الأســاليب: الأدلـة العليـة الإقنـاع بـالبرهـان المنطقي والـدعوة للتفكر في الآفـاق والأنفس، والخطـاب الفطري، وخطاب الوجدان بالموعظة والتذكير، وقد تضمنت سورة الأنعام العديد من الحجج لإثبات وجود الله ، و قد أصـبحت الحاجة ملحة في هذا الزمان الذي انتشـر فيه الإلحاد لتعلم كيفية خطابهم ، ولا أنفع في ذلك من كلام الله ﷻ، ولهذا جاء هذا البحث لتجلية هذه الهدايات القرآنية، وقد جعلت عنوانه: (الأدلة الفطرية والعقلية على إثبات وجود الله في سورة الأنعام).

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الآتي:

١- تعلقه بالتوحيد وعبادة الله وهو أعظم واجب على المكلف.

٢- حاجة المكتبات الإسلامية الماسة إليه خاصة في عصرنا الذي ظهر فيه الإلحاد.

٣- حاجة المسلم لمعرفة كيفية خطاب منكري وجود الله ﷻ.

أسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في نشر معاني كلام الله الذي به تكون الهداية والسعادة في الدنيا الآخرة.

٢- تزايد أعداد الملحدين من الشباب، وعدم معرفة بعض طلاب العلم طريقة الخطاب التي تناسبهم.

أهداف البحث:

يهدف البحث للآتي:

١- توضيح الأدلة العقلية في سورة الأنعام التي تدل على وجود الله.

٢- بيان الأدلة الفطرية الدالة على وجود الله في هذه السورة.

٣- الوقوف على ما ورد في سورة الأنعام من ردود على حجج منكري وجود الله عزوجل.

٤- بيان كيفية الاستفادة من أسلوب الموعظة في خطاب منكري وجوده سبحانه.

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج التحليلي الذي توصـلت من خلاله إلى معرفة الأدلة الفطرية والعقلية التي تثبت وجود الله عز وجل في سورة الأنعام، والاستنباطي الذي اتبعته لاستنباط كيفية الرد على منكري وجود الله.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

ثم **التمهيد**، وفيه: التعريف بسورة الأنعام.

المبحث الأول: الأدلة العقلية في سورة الأنعام على وجود الله عز وجل.

المبحث الثاني: الأدلة الفطرية في سورة الأنعام على وجود الله عز وجل.

المبحث الثالث: الرد على حجج منكري وجود الله سبحانه في سورة الأنعام.

المبحث الرابع: استعمال أسلوب الموعظة في سورة الأنعام في خطاب منكري وجود الله سبحانه.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج، والتوصيات.

أسـأل الله التوفيق والسـداد والإخلاص في القول والعمل، وأن ينفع بهذا البحث إنه سـميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

التمهيد

التعريف بسورة الأنعام:

ســورةُ الأنعامِ مَكيَّةٌ، نقَل الإجماع على ذلك ابنُ عبدِ البرِّ فقال: (وقد أجمَع العلماءُ أنَّ ســورةَ الأنعامِ مكيَّةٌ، إلَّا قولَه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...﴾ وذكر الآيات الثلاث، وعدد آياتها (١٦٥) آية.

وسورة الأنعام بأنها رغم طولها نـزلت جملة واحدة، وقد يكون من أسباب ذلك اشتمالها على كثير من مسائل التوحيد، وقد ظهر هذا في أول آية منها، حيث افتتحت بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ① ﴾ [الأنعام: ١]، قال القرطبي في تفسيره: "قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور وهذا يقتضي إنـزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجة"(١).

وقد نــــزلت في أواخر المرحلة المكية، بعد الإســراء برســول الله ﷺ، لتعالج قضــايا هذه المرحلة من الإعراض والتكذيب بتثبيت التوحيد في النفوس.

وروي عنِ ابنِ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما-، قالَ: (نــزلَتْ سورَةُ الأنعامِ بمَكَّةَ ليلًا جُملةً، حولَها سَبعونَ ألفَ مَلَكٍ، يَجأرُونَ حولَها بالتَّسـبيحِ)(٢) ومعنى يجأرون: يرفعون أصــواتهم(٣)، وهذه خاصـية عظيمة لهذه السورة تدل على مكانتها.

ومن أهم مَقاصــد ســورة الأنعام ترســيخ العقيدة، وتعريف النَّاس بربِّهم، وتعبيدهم له، وإقامة الأدلة على وحدانيَّة الله، وصدق رسوله، ومحاجة المكذبين بالبعْث والنشور، ودحض شبههم(٤).

(١) تفسير القرطبي ٦/ ٢٩٥.

(٢) أخرجه القاسم بن سلَّام في فضائل القرآن ٢٤٠، والطبراني في الكبير ١٢/ ٢١٥ برقم: ١٢٩٣٠، وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار ٣/ ٢٢٧، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في عمدة التفسير ١/ ٧٦١.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٢٣٢(جأر).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي ٦/ ٢٩٥، وتفسير ابن عاشور ٧/ ١٢٥، التفسير الوسيط لطنطاوي ٥ / ٢٣.

المبحث الأول

الأدلة العقلية على وجود الله عز وجل

الاستدلال بالآيات الكونية المشاهدة المحسوسة منهج من مناهج أهل السنة والجماعة، وهو دليل يخاطب العقول، فقد عقد أهل العلم فصولاً كثيرة في كتبهم ساقوا فيها الكثير من الآيات والأحاديث وأقوال السلف؛ للاستدلال على وحدانية الله ﷻ بدليل خلق السماوات والأرض والشمس والقمر وغيرها.

وقد افتتحت سورة الأنعام بذكر هذا الدليل الذي يثبت تفرد الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، ومن الأدلة العقلية المشاهدة الواردة في سورة الأنعام:

أولا: التذكير بعظمة الله التي لا يساويه فيها أحد.

ثانيا: تذكير الإنسان ببداية خلقه.

ثالثا: الاعتبار بعاقبة المنكرين للربوبية من السابقين.

أولا: التذكير بعظمة الله التي لا يساويه فيها أحد

ويضح ذلك في سورة الأنعام في الآيات الآتية:

١- الآية الأولى من هذه السورة حيث قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١ ﴾ [الأنعام: ١]، فابتدأت بالرد على منطق المشركين ؛ فمع كونه سبحانه قد خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور؛ فإنهم بربهم يعدلون! وعدول المشركين عن عبادة الله مع علمهم بأنّه خالق الأشياء أمر غريب! إذ كيف يخلقهم ثم لا يهتدون إليه؟! و في ذكر الظلمات والنور إشارة إلى حال المخاطبين بالآية من الكفار والمؤمنين، فإنّ الكفر يشبه الظلمة لأنّه انغماس في جهالة وحيرة، والإيمان يشبه النور لأنّه استبانة الهدى والحقّ.

والمقصود بهذه الآيات جميع الكفّار، فالله لم يخصص منهم بعضًا دون بعض، فجميعهم داخلون في هذه الآية(١).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ١٤٣، وتفسير البغوي٢/ ٨٣، وتفسير ابن عاشور ٧ / ١٢٥ .

٢- ثم تأتي الآيات بعدها لتبين قوة الله سبحانه وقدرته على كل شيء، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٦].

٣- وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٩]، بيان بعض أدلة عظمته سبحانه فهو من خلق السموات والأرض على غير مثال سابق، وهذا ما يسميه العلماء: "دليل الخلق والإيجاد"، فحدوث الأشياء المشاهدة يوجب ضرورة أن يكون لها موجد؛ لاستحالة أن يكون وجودها وانتقالها من العدم إلى الوجود ذاتيًا من غير سبب، وهذا الدليل مبني على مقدّمتين ونتيجة:

المقدّمة الأولى: أن المخلوقات وُجدت بعد أن لم تكن موجودة، والدليل على هذه المقدّمة هو: الحسّ والمشاهدة.

والمقدّمة الثانية: أن كل ما وُجد بعد أن لم يكن موجودًا فلا بدّ له من خالق، والدليل على هذه المقدّمة هو: مبدأ السببية، وهو مبدأ مستقر في الفطر السليمة التي تقر بالمبادئ العقلية الأولية.

والنتيجة: الاعتراف بوجود خالق للمخلوقات[١].

وقد ذكر الله هذه الحجّة في موضع آخر من كتابه إذ قال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة، ونحوها على وجود الخالق سبحانه وتعالى، فحدوث الإنسان يستدل به على المحدث)[٢].

٤- ومن مظاهر عظمته سبحانه أن الأمور كلها بيده، قال تعالى مبينا ذلك: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٧، ١٨]، فما أصاب الإنسان من بلاء فلا أحد يصرفه سواه، وما أصابه من خير فلا راد لفضله ، وهو القادر على كل شيء، القاهر الغالب لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو العلي فوق خلقه، خضعت لعظمته الكائنات، فهو المذلِّل المستعبد خلقه، العالي عليهم، والله الحكيم في علّوه على عباده، وقهره إياهم بقدرته، وفي سائر تدبيره، الخبير بمصالح الأشياء ومضارِّها، الذي لا يخفي عليه عواقب الأمور، ولا يقع في تدبيره أو حكمته خلل، فإذا قرأ الملحد هذه الآيات أيقنت نفسه بمعاني عظمته سبحانه[٣].

٥- وفي هذه السورة ذكر مناظرة إبراهيم لقومه عباد النجوم والأصنام، التي أثبت بها عظمة الله سبحانه بأدلة عقلية محسوسة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى

---

(١) ينظر: ينظر: شموع النهار، عبدالله العجيري ٩٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٢٠٩.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ١٦١، وتفسير البغوي ٢/ ٨٨.

لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الأنعام: ٧٥-٧٩] فبين عليه السلام لقومه عباد الكواكب، أن هذه المخلوقات لا حياة لها عاجزة عن التدبير تقوى وتضعف تظهر وتختفي فهي مأمورة مسخرة، ومن هذا حاله لا يصلح أن يكون ربا، فالعظيم لا يغيب عن مخلوقاته طرفة عين، لأنه لو غاب لزالت المخلوقات ولم يبق لها أثر.

ثانيا: تذكير الإنسان ببداية خلقه

ومن الأدلة العقلية التي تثبت وحدانية الله ﷻ، تذكير الإنسان ببداية خلقه، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٢]، فهو سبحانه من خلقنا من طين، حين خلق آدم عليه السلام منه، فهو سبحانه حين يذكرنا بذلك يريد منا ألا نتكبر على من خلقنا فننكر وجوده، فإن خلقنا آية بينة دالة على قدرته وعظمته، ولهذا كان نوح عليه السلام يذكر قومه بنعمة خلقنا من أطوار، حين قال: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح: ١٣، ١٤]، أي: ما لكم لا ترون لله عظمة وهو من خلقكم؟!

فخلقهم من طين ثم بعثهم دليل علمه وقدرته، ودليل على تمكن الخالق منهم، فكانوا محققوين بأن يتوصلوا به إلى معرفة عظمة الله وتوقع عقابه؛ وهل التصرف فيهم بالعقاب والإثابة إلا دون التصرف فيهم بالخلق ثم الموت؟

ثالثا: الاعتبار بحال الأمم السابقة

وهذا من الأدلة العقلية على وحدانية الله سبحانه، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠، ١١]، ففي هذه الآية يأمر الله نبيه أن يخاطب عقول هؤلاء المنكرين الجاحدين المستهزئين، ويأمرهم بالاعتبار بحال المنكرين قبلهم

كيف كان عاقبتهم؟ الهلاك وخزيَ الدنيا وعارها، وما حل بهم من سخط الله عليهم، من البوار وخراب الديار وعفوِّ الآثار فاعتبروا به، إن لم تزجركم حُجج الله عليكم، عمَّا أنتم عليه من التكذيب، وشككتم في صدق المرسلين واستهزأتم بهم فسيروا سير القلوب والأبدان، الذي يتولد منه الاعتبار، فاحذروا مثل نهايتهم، ولا تغتروا بما أنتم فيه من قوة وجاه، فإن ذلك لا دوام له، واتقوا أن يحلّ بكم مثلُ الذي حلّ بهم، فمن تفكر وأعمل عقله وتأمل، رأى ما حذر الله منه من العذاب ، والسعيد من وعظ بغيره.

المبحث الثاني

الأدلة الفطرية في سورة الأنعام على وجود الله عز وجل

والمقصود بالفطرة مجموع المبادئ العقلية، والغرائز المغروزة في الإنسان، التي لا تتشكّل عن طريق التّلقين والتأثّر بالمحيط، ومما فطر عليه الإنسان الإيمان بوجود الله، فالإنسان منذ أن يولد يؤمن بوجود الله وله تصوّر عنه بشكل فطريّ، ومن مظاهر الفطرة ظهور آثارها عند وقوع الشدائد، فيظهر الافتقار والحاجة واللجوء إلى قوة أعظم وأقوى هي الإله، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

فالله يأمر رسوله أن يسأل الكفار: من الذي ينقذكم من الشدائد التي تصيبكم في ظلمات البر والبحر حين تدعونه خائفين متذللين قائلين: لئن سلمنا لنكونن من الشاكرين لا نعبد غيره، فتنسون قوتكم، ويزول كل ما في نفوسكم من غرور وكبرياء عن عبادته؟

وقريب من معنى هذه الآية قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ [يونس: ١٢]، والفخر الرازي يبين هذا المعنى في تفسيره فيقول: (أن الإنسان إذا وقع في محنة شديدة وبلية قوية لا يبقى في ظنه رجاء المعاونة من أحد، فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلته يتضرع إلى من يخلصه منها ويخرجه عن علائقها وحبائلها، وما ذاك إلا شهادة الفطرة بالافتقار إلى الصانع المدبر)[(١)].

(١) تفسير الفخر الرازي ١٩ / ٧١.

المبحث الثالث

الرد على حجج منكري وجود الله سبحانه في سورة الأنعام

ساق الله ﷻ حوار أنبيائه ورسله مع أقوامهم المعاندين المستكبرين، ليبين ما قوبل به رسله من عناد أقوامهم، الذين أراد رسلهم إصلاحهم وهدايتهم إلى طريق الرشاد.

وقد بين الله ﷻ الطريقة التي اتبعها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام في محاورتهم مع أقوامهم، حيث خاطبوهم باللين والرفق تارة، والترهيب والتخويف تارة، وكلما أتوا بحجة ردوا عليه بأبلغ بيان وأوضح حجة، ومقصدهم أن يستجيب أقوامهم، وينجوا مما هم فيه من الشرك والبعد عن الطريق المستقيم، لكنهم لعنادهم الحقَّ وبعدِهم من الرشد لا ينتفعون من هذا الخطاب، وقد وردت عدة حجج للمشركين في سورة الأنعام:

١- فمرة يطلبون دليلا يحددونه لا يؤمنون إلا به، مثل طلبهم إنزال كتاب من السماء تتنزل به الملائكة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ ﴾ [الأنعام: ٧، ٨].

فمشركو قريش كانوا يقولون: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ مكتوبا من عندي، ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أي: عاينوه ومسوه بأيديهم، فذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لأن اللمس أبلغ في إيقاع العلم من الرؤية، فإن السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس ، كما أن في ذكر اللمس الإفصاح عن منتهى ما اعتيد من مكابرتهم ووقاحتهم في التكذيب، فالله يذكر لنبيه ﷺ أنك لو دعوتهم إلى توحيد الله والإقرار بربوبيته وأتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به، واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعت به عذرهم لن ينفعهم ذلك، فذكر الله هنا فرض آية تكون أوضحَ الآيات دلالة على صدق محمد ﷺ، لكنها لو حصلت فلن يتغير موقفهم لما فيهم من الكبر، وسيكون موقفهم اتهامه بالسحر: ﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾، وفي هذا

غاية المكابرة للمحسوسات الواضحة وعدم الاعتراف بها، فلا ينفع معهم شيء، فهم يغالطون أنفسهم ويغالطون قومهم ؛ لستر مكابرتهم، ودفع ما ظهر من الغلبة عليهم ، وهذا شأن المغلوب المحجوج أن يتعلّق بالمعاذير الكاذبة(١).

ولم ينـــزل الله الملائكة رحمة بهم فإنه لو نـــزل الملك على ما سألوا، ثم كفروا ولم يؤمنوا، لجاءهم العذاب عاجلا غير آجل(٢).

ومرة يقولون:لن نؤمن حتى يجعلنا الله أنبياء ورســلا، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فإذا جاءت هؤلاء المشــركين المجادلين بزخرف القول حجة من الله على صــحة ما جاءهم به محمد ﷺ، قالوا: لن نصــدق حتى تأتينا الملائكة من الله بالرســالة، كما تأتي إلى الرســل، و يعطينا الله من المعجزات مثل الذي أعطى موسى من فلق البحر، وعيسى من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، فرد الله تعالى عليهم بأن آيات الأنبياء والرســل لن يُعطاها من البشــر إلا من اصــطفاهم الله من الخلق، وليس عباد الأوثان والأصنام ، فالله أعلم بمن هو أهل للرسالة(٣).

ومرة يستعجلون العذاب، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنعام ٥٧، ٥٨].

فأمر الله نبيه ﷺ أن يقول لمنكري نبوته: إن معي برهان واضــح، وأنتم كذبتم به، وليس عندي ما

---

(١) ينظر: تفسير البغوي ٢/ ٨٦، وابن عاشور ٧/ ١٤٢.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٣ / ٥٢٣.

(٣) تفسير الطبري ٨/ ٢٥، وانظر تفسير ابن كثير٣/ ٦٩٦.

تستعجلون به من العذاب، فإنه بيد الله ﷻ، فإنهم كانوا لفرط تكذيبهم يستعجلون نـزوله استهزاء[1].

٢- ومن حجج الكفار على عصـيانهم إنكار البعث، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩ ﴾ [الأنعام: ٢٩]، فقالوا لا حياة بعد الممات، فترتب على هذا إنكار ثوابَ الله وعقابَه في الدار الآخرة، فهم لا يبالون ما أتوا من إثم، لأنهم لا يرجون ثوابًا، ولا يخافون عقابًا على سيّئٍ يعملونه[2].

٣- ومن حججهم إنكار أن يكون الله هدى أهل المسـكنة والضـعف للحق، وخذلهم وهم أغنياء، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣ ﴾ [الأنعام: ٥٣]، فحكى الله عن الأغنياء قولهم للفقراء على سـبيل الاحتقار والسُخرية: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ ﴾ يعني: هداهم الله وهم فقراء أذلاء ضعفاء، وتركنا ونحن أغنياء أقوياء، فما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير ويدعنا، كما قالوا ما حكاه الله عنهم في سورة الأحقاف: ﴿ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ [الأحقاف: ١١].

فبين سـبحانه لهم أنه أعلم بمن كان شـاكرًا نعمته، ممن هو لها كافر، فمنّته على من مَنَ عليه منهم بالهداية، جزاء شـكرهم لربهم بأقوالهم وأفعالهم وضـمائرهم، فيوفقهم ويهديهم سـبل السـلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إليه صـراطا مسـتقيما، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فالله أعلم بالشّاكرين الذين يعرفون النعمة، ويقرون بها، ويقومون بما تقتضيه من العمل الصالح، فيضع فضله ومنته عليهم، أما من سـواهم، فإن الله تعالى حكيم، لا يضـع فضـله عند من ليس له بأهل، فمن خذل منهم فإنما كان خذلانه عقوبة على كفره نعمة الله، فليس سـبب الهداية غنى الغني، أو فقر الفقير، لأن

---

(١) ينظر: تفسير البغوي ٧ / ١٠١، وتفسير القرطبي٦/ ٤٣٨.

(٢) تفسير الطبري٧ / ١٧٧.

الثواب والعقاب لا يستحقه أحدٌ إلا جزاءً على عمله، لا على غناه وفقره(١).

٤ -ومن اعتراضاتهم زعمهم أن الله لم ينزل على آدميٍّ كتابًا ولا وحيًا، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام: ٩١]، ومعنى قوله: (وما قدروا الله حق قدره):أي ما عظموه حق عظمته، فهؤلاء الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمنَ أن الله على كل شيء قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك، فلم يقدر الله حق قدره(٢).

فهم لم يعرفوا الله ولم يعموا عظيم صفاته، ولهذا لم يقدروه حق قدره، وأي شيء عرف من لم يعرف الله؟ وأي علم حصل من فاته العلم بالله؟

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن معرفة ما يجب اعتقاده عن الله: " أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول"(٣)، وقال ابن القيّم عن منزلة التعظيم: "هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الربّ تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمّا وإجلالاً، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته"(٤).

ومن قال بأن الله لم يرسل أحدا قد جاء إفكًا وزوراً ، لأنه أنكر ما هو معلوم في أجيال البشر بالتّواتر، وقد أمر الله نبيّه بأن يُفْحمهم بسؤالهم: ﴿ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾، فذكَّرهم بأمر لا يستطيعون جحده لتواتره في بلاد العرب، وهو رسالة موسى ومجيئه بالتّوراة وهي تدرس بين

(١) تفسير الطبري ٧/ ٢٠٧، وانظر تفسير ابن كثير٣/ ٥٤٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٦٦، والبغوي ٢/ ١٤٤، وابن كثير ٣/ ٥٧٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٥.

(٤) مدارج السالكين ٢/ ٤٩٥.

اليهود في البلد المجاور مكّة، واليهودُ يتردّدون على مكّة في التّجارة وغيرها، على طريقة إفحام المناظر بإبداء ما في كلامه من لوازم الفساد، فثبت أنّ الله أنــزل على أحدٍ من البشر كتابـًا فانتقض قولهم: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾.

وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ راجع إلى قوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾، فإن أجابك وإلا فقل أنت: الله، أي قل: أنـــزله الله، ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي أنّهم لا تنفع معهم الحجج والأدلّـة فَتَرْكُهم بعـد التّبليغ هو الأولى ولكن الاحتجـاج عليهم لتبكيتهم وقطع أعذارهم(١).

(١) ينظر: تفسير البغوي ٢/ ١١٤، وابن عاشور ٧/ ٣٦٣.

المبحث الرابع

استعمال أسلوب الموعظة في خطاب المشركين

والوعظ معناه: التذكير بالخير فيما يرق له القلب. تفسير القرطبي (١/ ٤٤٤)[١].

وهو من أساليب الدعوة إلى الله، يغفل عنه بعض الدعاة عند حوار الملاحدة، وقد أمر الله نبيه بوعظ المنافقين وهم أشد الناس كفرا، أصحاب الدرك الأسفل من النار، الذين قال عنهم: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، ولعظم أثر الوعظ في النفوس، أمر سبحانه بوعظ المنافقين فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾[النساء: ٦٣]، فأمر بوعظهم، ثم أمر أن يكون بالقول البليغ، وهو أن يكون كلامًا بليغًا طويلًا حسن الألفاظ حسن المعاني، مشتملًا على الترغيب والترهيب والتحذير والإنذار والثواب والعقاب، فإن الكلام إذا كان كذلك عظم وقعه في القلب، فإن الناس تقسو قلوبهم لكثرة انشغالهم بالدنيا وشهواتها، فالواعظ يذكرهم بالله، ويحيي قلوبهم[٢].

وقد اشتملت سورة الأنعام على آيات كثيرة فيها مواعظ للكفار ببيان عاقبة حالهم يوم القيامة وما ينتظرهم من البعث والعقاب ومن ذلك:

١- أنه في يوم القيامة تظهر خسارتهم بتضييعهم أنفع سبب للفوز في العاجل والآجل، والنتيجة خسران الفوز في الدنيا بالسلامة من العذاب، وفي الآخرة بالنجاة من النار، قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٢].

وعذاب يوم القيامة شديد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿١٥﴾ ﴾[الأنعام: ١٥]، وهنا أضيف العذاب إلى ﴿ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ تهويلاً له، لأنّ عظمة اليوم

(١) ذكره القرطبي في تفسيره عن الخليل بن أحمد، تفسير القرطبي ١/ ٤٤٤.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي ١٠/ ١٢٤.

العظيم تستلزم عظم ما يقع فيه عرفًا.

ووصف حالهم يومها بأنهم سيتمنون العودة للدنيا ليؤمنوا، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧].

ثم قال تعالى مبينا تحسرهم وعذابهم يوم القيامة: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنعام: ٣١]: أي خاب وخسر الذين كذبوا بلقاء الله لأنه خسروا خيرات الآخرة، فإذا جاءتهم الساعة بغتةً قالوا إذا عاينوا خسارتهم تندُّمًا وتلهُّفًا على عظيم الغَبْن الذي غبنوه أنفسهم: يا ندامتنا على ما ضيّعنا فيها

ومن صور عذابهم يوم القيامة أنهم سيشربون الماء الحار، قال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٠] أي: ذرْ هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعبًا ولهوًا، فإذا سمعوه الآيات استهزؤا بها فأعرض عنهم عظهم بالقرآن حتى لا تسلم نفس للهلاك، فيكون من عذابها شرب الماء الحار الذي قد انتهى حره، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم بسبب كفرهم، والعياذ بالله.

ثم إنهم يبعثون فرادى خائفون لا معين ولا شفيع ولا مال ولا ولد، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٤]، أي صار ما تنذرون به على لسان الرّسول من الرّجوع إلى الحياة بعد الموت للحساب بين يدي الله صدقا.

وهذا العذاب سينزل عليهم بغتة، وحينها يستولي عليهم اليأس، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟

بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤]، وفي هذا تخويف شديد لهم .

٢- ومن عبارات الوعظ لقلوب الكفار بيان فقرهم و استغناء الله عنهم ، فمن آمن فهو المنتفع، ومن لم يؤمن فضرر ذلك مقصور عليه، قال تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٤] والبصيرة: العقل الّذي تظهر به المعاني والحقائق، وإضافة البصائر إلى الرب من تربية المهابة وتقوية داعي العمل بهذه البصائر، ﴿ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ ﴾، أي فلا عذر لكم في الاستمرار على الضّلال بعد هذه البصائر(١).

وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

ففي كلّ قرية أكابرَ وسادة يصدّون عن الخير وخصهم بالذكر لأنهم أقدر على الفساد، وأمر هؤلاء ليس ببدع ولا خاصّ بأعداء هذا الدّين، فإنّه سنّة المجرمين مع الرسل الأوّلين، فمن سنن الله الكونية خلق أسباب الخير وأسباب الشرّ في كلّ مجتمع، ﴿ لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ ﴾، والمكر: إيقاع الضرّ بالغير خُفية وتحيُّلاً، والمراد بالمكر هاهنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال، وهو من الخداع، أي ليمكروا بالنّبيء عليه الصلاة والسلام ظنّا منهم أنّ صدّ النّاس عن متابعته يضرّه ويحزنه، وأنّه لا يعلم بذلك، (وما يمكرون إلا بأنفسهم)، أي هم في مكرهم ذلك إنّما يضرّون أنفسهم، لأنّ النّبيّء ﷺ لا يلحقه أذى ولا ضرّ من صدّهم النّاس عن اتّباعه، ويَلحق الضرّ الماكرين، في الدّنيا: بعذاب القتل والأسر، وفي الآخرة: بعذاب النّار، فما يعود وبال مكرهم إلا على أنفسهم(٢).

---

(١) ينظر: تفسير ابن عاشور ٧/ ٤١٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٨/ ٢٤، و ابن كثير ٢/ ٦٠٥، و ابن عاشور ٨/ ٤٧.

الخاتمـة

الحمد لله الذي أعان على إتمام هذا البحث، الذي خرج بهذه النتائج والتوصيات:

١. الاستدلال بالآيات الكونية المشاهدة المحسوسة دليل عقلي، وقد افتتحت سورة الأنعام بذكر هذا الدليل الذي يثبت وجود الله سبحانه .

٢. ومن الأدلة العقلية التي جاءت في سـورة الأنعام لإثبات وجود الله ﷻ: تذكير الإنسـان ببداية خلقه، وهذا هو "دليل الخلق والإيجاد" وهو من أقوى الأدلة على وجود الله.

٣. جاء في هذه السـورة ذكر "دليل الفطرة"، ورجوع الإنسـان عند الشـدائد لخالقه؛ لأنه بأصـل خلقته يتضرع إلى من يخلصه، فلا يجد قوة غير قوة ربه.

٤. الكافر الذي لا يريد الخير والهداية لو دعي إلى توحيد الله والإقرار بوجوده، واحتج عليه بما يقطع عذره لن ينتفع بذلك، لأن الذي ينقصه هو التواضع للحق، لا وضوح الدليل والحجة.

٥. ترقيق القلب بالمواعظ أسـلوب نافع من أسـاليب الدعوة، يغفل عنه بعض الدعاة عند حوار الملاحدة.

٦. يوصي البحث بتعليم الشباب الأدلة على توحيد الله، وإدراج ذلك في مناهج التعليم العام والجامعي.

٧. يوصـي البحث بالحرص على تعليم النشء معاني كلام الله، وسـنة رسـوله ﷺ، في المدارس والمساجد، ونشرها في وسائل الإعلام، وتدريبهم على مهارات التفكير الصحيح، حتى تعصمهم بإذن الله من فتن الشهوات والشبهات التي توقع في الإلحاد.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا .

قائمة المصادر والمراجع

١. تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض السيد المرتضى الزبيدي، ت: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
٣. تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٤. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧.
٥. تهذيب اللغة للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري، ت: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ.
٦. تيسير اللطيف المنان، للسعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعديّ، الرياض، الرئاسة العامّة لإدارات البحوث العلميّة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
٧. جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، الطبعة الأولى، دار المعارف.
٨. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمّد بن أحمد القرطبيّ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ.
٩. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ.
١٠. شموع النهار، عبدالله العجيري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الرياض، ط٤، ٢٠٢٠م.
١١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
١٢. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، اختصره: أحمد شاكر وأنور الباز، دار الوفاء بالمنصورة، مصر، ط٢، ١٤٢٦هـ.
١٣. مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن قاسم، مكتبة ابن تيمية، مصر.

١٤. مدارج الســالكين لابن القيم، محمد بن أبي بكر، ت: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦ هـ.

١٥. المعجم الكبير للطبراني، ســليمان بن أحمد، ت: حمدي بن عبد المجيد الســلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٦. مفاتيح الغيب، تفسـير الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسـن بن الحسـين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٧. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار لابن حجر، ت: حمدي عبد المجيد الســلفي، دار ابن كثير، ط٢، ١٤٢٩هـ.

١٨. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، المبارك بن محمد، أنصــار الســنة، باكســتان، ط١، ١٣٨٣.

فهرس الموضوعات